رباه !... ماذا حملها على أن تزوره فى دجوة الليل ؟

ليس من مألوفها معه أن تجشم نفسها زيارته إلا لخطب يلم ومشكل يتعقد .

وحدق إليها ينظر ، فرآها كأنما هى فى غسق الليل قطعة منه تحمل فى طوايا لبوسها الأسود وخمارها الأغبش أوهام الليل ومفزعات الظلام .

واقترب شبح الأم ، فعقدت البغتة لسانه ، وجمعت أوصاله ، ولكنه تمالك ، وتنحنح يطلق لسانه بالتحية ، فغص حلقه بجملة ترحيب فاترة .

لم تعره المرأة اهتماما ، وتابعت سيرها فى خطاها الزاحفة تلج الدار ، فتحامل الابن يقتلع جرمه وتبعها ، يتغشاهما صمت ، وانغلق الباب ، واحتوتهما قاعة الدار .

وجلست المرأة فى زاوية قاصية تصلح من خمارها وتسوى ما تشعث منها ، مخفية قدميها تحت عودها السامق ، وشغل عنها « مصيلحى » هنيهة بالمصباح المعتم يعرك مداره فتهتز ذبالته متوهجة تمزق وحشة الظلام ، ثم أقبل على أمه بوجهه يتبينها ، فظفر بها فى ركنها مطرقة تتفرس فيه مليا ، وهم يبادرها بالكلام ، فاستوقفته